الميثاق الأخلاقي والقطاع التربوي المغربي:
قراءة إيتيمولوجية

رشيد جغايمي
طالب باحث بسلك الدكتوراه في السوسيولوجيا
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة
المغرب

المستخلص:

يتناول هذا المقال مفهوم الميثاق الأخلاقي، حيث تم تعريفه إيتمولوجيا. وتحديد أهدافه وأدواره في ظل التحولات القيمية التي نشهدها. ومساءلة السياق المغربي عامة، وبالضبط القطاع التربوي بتوفره على ميثاق أخلاقي ينظم العلاقات والسلوكيات بالمؤسسات التعليمية.

The article addresses the concept of the ethical charter, starting with its etymological definition. It then identifies its objectives and roles amid the value shifts we are witnessing, and examines the Moroccan context in general, specifically the educational sector, questioning whether there is an ethical charter that regulates relationships and behaviors within educational institutions.

"إن الإنسان، بقدر ما يزداد أخلاقية، يزداد إنسانية"[1].

تشكل الأخلاق ركنا أساسيا من أركان الوجود الاجتماعي، ونسقا حيويا في نسيج الحياة الإنسانية المعاصرة. فالأخلاق نظام من القيم يوجه حياة الفرد وينهض بها إلى أرقى مستوياتها الإنسانية. والإنسان لا يحقق جوهره الإنساني إلا في صورته الأخلاقية[2]. كما عبر عنه فيلسوف المنطق المغربي **طه عبد الرحمن** الذي يعتبر أن ما يميز الإنسان عن الحيوان هي الأخلاق وليس العقل، **فالأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلا عن أفق البهيمة**[3]. ولقد أقرّ المفكرون والباحثون، على مرّ التاريخ الإنساني، أن حياة المجتمعات الإنسانية لا تستقيم من غير القيم الأخلاقية، وذلك لأنها تشكل النسيج الحيوي لوجود الإنسان والمجتمع في آن واحد. لذا إن غياب القيم الأخلاقية أو تدهورها يؤدي بالضرورة إلى تصدع المجتمع وانهياره وتداعيه. إذ لا يمكن أن تقوم للمجتمع قائمة، من غير القيم الأخلاقية، ومن غير الفضائل التي تضمن له التماسك والوحدة والقوة والانسجام، وقد عبر شوقي خير تعبير عن هذا بقوله: **"إنما الأمم الأخلاق ما بقيت، فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا**[4]." ففي زمننا المعاصر، أصبح يعيش العالم بصفة عامة والسياق المغربي بصفة خاصة، تحولات قيمية انسانية سريعة واضطراب في المعايير الاجتماعية والأخلاقية (بروز العنف، الجريمة، والفساد بشكل أكثر)، وتصاعد أزمات نفسية من التوتر والاكتئاب وعدم الاستقرار، وضعف الضمير الإنساني، وتغليب المصلحة الخاصة. وهذا بسبب تعميم نموذج محلي معين –كأنه مثالي وأقصى ما توصلت إليه الإنسانية– على المجتمعات الأخرى في إطار ما يسمى بالعولمة. ولا ننسى الجانب الخفي منها "اليد الخفية للعولمة". حيث فرضت على الفرد قيم أخلاقية سائلة[5] الذي يبحث عن مصلحته وإشباع لذته الفورية والمقرونة بالاستراتيجيات قصيرة المدى التي تتغير بتغير السياق. وأصبحنا أمام سوق مفتوحة للقيم كل منا يمكنه أن يأخذ ما يشاء من القيم. ومسألة الأخلاق هي أيضا معنية بذلك لكونها ليس فطرية فقط بل تكتسب من البيئة الاجتماعية. فمع هذه الأزمة القيمية والأخلاقية برزت الحاجة إلى مواجهتها، فلم تستطع المواضيع الكلاسيكية للفكر بصفة عامة والفكر الفلسفي بصفة خاصة حول الأخلاق في ذلك. بعد أن أوشكت على استنفاذ أغراضها وانطفاء متتالي للرموز الفلسفية الكبرى التي تركت بصماتها الواضحة، وعدم تمكن أسماء أخرى من ملئ الفراغ. وأصبحت الساحة الفلسفية تعرف ظاهرة الاشتغال على أعمال الفلاسفة السابقة[6]. وهذا الوضع هو الذي جعل بعض المهتمين بمستقبل الفكر الفلسفي في تجديده وسيتم ذلك في ما يسمى **ب"الأخلاقيات التطبيقية"**، وهو من أبرز ميادين الفلسفة العملية في الوقت الراهن. ويعرف ب**"الفكر الأخلاقي الجديد"**. وغزى هذا المبحث جل ميادين البحث والممارسة. فتزايد الطلب على الأخلاق ولكن بصفة عملية وهذا ما تجسد في الدعوة إلى تخليق كل ميادين المجتمع الحديث (تخليق المهن، تخليق السياسة، تخليق مؤسسات الدولة، تخليق التعليم والصحة، تخليق البنوك والمؤسسات المالية، تخليق الصحافة ووسائل الإعلام، تخليق الفضاء العمومي ... الخ)[7]. فمن حيث تخليق المهن تم ذلك عبر وضع لكل مهنة معايير وقواعد تنظيمية داخلية لضبط وتنظيم الممارسة الداخلية، وتتخذ عدة أشكال أهمها **"قواعد الممارسة الجيدة"**، وهي في الغالب قواعد تقنية وآداب مهنية ومدونات أخلاقية تحدد أبرز القيم الخاصة بكل مهنة على حدة والالتزامات والحقوق والمسؤوليات المرتبطة بممارسة المهنة؛ ومدونة واجبات المهنة التي تتضمن مجموعة من المبادئ والإجراءات التنظيمية والتدابير القانونية المعدة لمواجهة الحالات التي فيها الخروج عن قواعد المهنة والتي تتم فيها مخالفة القانون[8]. وهذا ما سنحاول التعرف عليه في هذه المقالة عبر مفهوم الميثاق الأخلاقي كآلية ترسيخ أخلاقيات المهنة. وبالضبط في المجال التربوي. **فما المقصود بالميثاق الأخلاقي؟ ما أهدافه ومماذا يتكون هذا الميثاق الأخلاقي؟ هل نتوفر على ميثاق أخلاقي يؤطر المهن بالقطاع العمومي في السياق المغربي بصفة عامة وبالقطاع التربوي بصفة خاصة؟**

أولا: مفهوم الميثاق الأخلاقي بين الدراسة اللغوية والدراسة المصطلحية

الدراسة اللغوية للفظة الميثاق:

انطلاقا من المعاجم اللغوية، سنحاول تتبع معاني لفظة الميثاق. والتي جاءت كالآتي:

في لسان العرب[9] سنجد الميثاق من وَثِقَ . وَثِقَ به، ثِقَةً ومَوْثِقاً: **ائْتَمَنَهُ**. وَثيقُ: **المُحْكَمُ**، ج: وِثاقٌ. وَثُقَ: صارَ وثِيقاً . أخَذَ **بالوَثِيقَة** في أمرِه: **بالثِّقَةِ**، كتَوَثَّقَ. أرضٌ وثيقَةٌ: **كثيرَةُ العُشْبِ** ميثاقُ ومَوْثِقُ: **العَهْدُ**، ج: مَواثيقُ ومَياثيقُ ومَياثِقُ . وَثاقُ ووِثاقُ: **ما يُشَدُّ به** . أوْثَقَهُ فيه: شَدَّهُ . وَثَّقَهُ تَوْثيقاً: **أحْكَمَهُ**، . وَثَّقَ فُلاناً: قالَ فيه إنَّهُ **ثِقَةٌ** . اسْتَوْثَقَ منه: **أخَذَ الوَثيقَةَ**.

في معجم المعاني الجامع[10]: ميثاق: (اسم)، الجمع: مواثيق، ومَياثيقُ، ومياثِق. الميثَاقُ: مَوْثِق؛ **عَهْد**. الميثَاقُ :(القانون) **ما يتعاهد أو يتحالف عليه رسميًّا شخصان أو أكثر، رابطة تتألّف من أجل عمل مشترك**. ميثاق حقوق الإنسان: (القانون) قانون الأفراد، خلاصة الحقوق الأساسيّة لمجموعة من النّاس. مِيثَاقُ الأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ: وَثِيقَةٌ سِيَاسِيَّةٌ تَتَضَمَّنُ مَبَادِئَ الأُمَمِ وَالقَوَاعِدِ الأَسَاسِيَّةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ احْتِرَامِهَا فِي الْمُمَارَسَةِ. وَثُقَ: (فعل) وثُقَ / وثُقَ في / وثُقَ من يوثُق، وَثاقةً، فهو وثيق، والمفعول موثوقٌ فيه، وثُق الشَّيءُ **قوِيَ وثبت وصار مُحكمًا**. وثُق الشخصُ/ وثُق الشَّخصُ من الأمر: **أخذ بالثِّقة، تيقَّن منه**.

وفي المعاجم والقواميس الأخرى[11] **ك "قاموس الكل، معجم الرائد، معجم عربي عامة، معجم الغني القاموس المحيط ..."**، فسنجد نفس التعريفات اللغوية ومجملها تصب في أن الميثاق هو: **عهد. اتفاق**. – بيني وبينه ميثاق، – {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلاَ يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ} . اتِّفاقٌ جماعيّ.

قال **ابن فارس**: «وثق، الواو والثاء والقاف كلمة تدل على **عقد وإحكام**»[12].

ومن خلال النظر في معاني الميثاق في اللغة فإنه يمكن إجمال هذه المعاني فيما يأتي:

- العهد المحكم.
- العقد والإحكام.
- التقوية والتثبيت.
- الشد والربط.
- الأخذ بالوثاقة والوثيقة.
- الاستحلاف واليمين[13].

الدراسة المصطلحية للفظة الميثاق:

الميثاق اصطلاحًا: «**هو العقد المؤكد إما بوعيدٍ أو بيمينٍ**»[14].وعرف الإمام أبو جعفر الطبري الميثاق بقوله: «**الميثاق من الوثيقة، وهي إما بيمين، وإما بعهد أو غير ذلك من الوثائق**»[15]. قال صاحب المنار: «**العهد ما يتفق رجلان أو فريقان من الناس على التزامه بينهما لمصلحتهما المشتركة، فإن أكداه ووثقاه بما يقتضي زيادة العناية بحفظه والوفاء به سمي ميثاقًا**»[16].

الدراسة اللغوية للفظة الأخلاق:

الأخلاق في اللسان العربي [17] جمع ''خُلُق'' بضمتين أو ''خُلْق'' بضمة وسكون، وجرى تعريف الأخلاق في المعاجم اللغوية على إيقاع واحد قوامه الخلق والجبلة والطبع والسجية.

وجاء في **المعجم الوسيط** أن الأخلاق "**حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير فكر وروية**''[18].

ويميز **التهانوي في كشاف اصطلاحات العلوم والفنون** بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة "خُلُق" فيقول: " الخلق، في اللغة، **العادة والطبيعة والدين والمروءة**، والجمع الأخلاق، وفي عرف العلماء: **ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف** "[19].

ونجد هذا التأكيد على السجية الخلقية والعفوية لدى **الجرجاني** الذي يقرر بأن " **الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة مصدرا للأفعال الجميلة سميت خلقا حسنا، وإن صدرت عنها الأفعال القبيحة سميت خلقا سيئا**[20].

وعلى هذا المنوال يعرفها **ابن منظور** بقوله: " **الخُلُقُ والخَلْقُ السجية. فهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته، أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة** "[21].

وتأسيسا على ما تقدم من التعريفات اللغوية للخلق والأخلاق نجد بأن معنى الأخلاق يتحدد بمعيارين، يتمثل المعيار الأول في مبدأ **الرسوخ والثبات والدوام والطبع**، في حين يتمثل الثاني في مبدأ **التلقائية حيث يجري السلوك من غير تكلف وانفعال وافتعال**. وهذا يعني أن الأخلاق تمثل منبع السلوك التلقائي بما يصدر عنه من أفعال الخير والشر[22].

الأخلاق في اللسان الأجنبي[23]: يوظف فيه أربع كلمات متداخلة للإشارة إلى مفهوم الأخلاق: **Morale**، **Ethique**، **Déontologie**، **Axiologie** ويصعب الفصل بين دلالة هذه الكلمات التي تترادف وتتداخل وتتقاطع بصورة مستمرة للتعبير عن الأخلاق كنظام أو علم أو فلسفة. ويبلغ هذا التداخل أشدّه بين كلمتي Ethique et Morale وهما مفهومان مترادفان في مستوى الاشتقاق متداخلان في الدلالة والمعنى[24].

اشتقت لفظة **الأخلاق** «**Morale**» من الأصل اللاتيني Moralis.، وتشير الكلمتان إلى الأخلاق والآداب والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع بصورة عامة. أما لفظة **Ethique** فهي مشتقة من اللفظة الإغريقية Ethikos ويقابلها في اللاتينية Ethica, وتعني أيضا في استخداماتها العامة النظام الأخلاقي المعياري لجماعة أو مجتمع محدد، حيث يعمل هذا النظام الأخلاقي على توجيه سلوك الأفراد نحو الفضيلة والحق والخير والواجب والقيم الأخلاقية بصورة عامة. وقد استخدم مفهوم Ethique لأول مرة في اللغة الفرنسية في القرن الثالث عشر بمعنى الأخلاق والآداب. وفيما يتعلق بمفهوم Morale فإن أول استخدام له في الفرنسية كان في عام 1530.[25]

في **فلسفة الأخلاق** ثمة نقاش حول مستويات التفكير في المسألة الخلقية والفرق بين مفهومي Ethique وMorale، على سبيل المثال **بول ريكور Paul Ricoeur** يفرق بين ثلاث مستويات: الأول: الفضائل Ethiqueوهي التي تعنى بمجال التقويمات الجوهرية والعلاقة بمقتضى الخير، أي السعي لحياة طيبة والتطلع نحو الكمال، والثاني: أخلاق الواجبMorale وهو مجال الواجب الكلي، والثالث: الحكمة العملية Sagesse Pratique وتعنى بأخلاقيات الذات وجماليات السلوك الأخلاقي، فهي مجال التعامل مع الحالات الإنسانية، فمجالا الفضائل (الإتيقا) والأخلاق يتصلان بالكليات، في حين أن الحكمة العملية تتصل بالمستجدات الإشكالية والملتبسة التي تحتاج إلى تبصر وحكمة في حساب الواجب والعواقب لحسم خيارات عصية على الضبط[26].

ونجد مصطلح "**الأخلاقيات**" **déontologie** أصله اللغوي في الكلمتين الإغريقيتين déon وlogos، حيث تعنى الأولى "**مايجب فعله أي الواجب**"، بينما تعني الثانية "**العلم أو المعرفة**"، ومن ثم ينصرف الجمع بينهما إلى "**علم الواجبات**". ويرجع الاستخدام الأول لمصطلح الأخلاقيات إلى الفلسفة النفعية الأنغلوسكسونية التي يتزعمها الفيلسوف جيرمي بينتام Jeremy Bentham وذلك في مؤلفه الصادر سنة 1834 بعنوان Posthume، والذي اعتبر فيه أن الأخلاقيات التي تشكل علم الواجبات تتجاور مع مفهوم القيم التي تعبر عن علم الأخلاق[27].

ويعد مفهوم "**الأكسيولوجيا**" (Axiologie science et théorie des valeurs) أكثر وضوحا من المفاهيم الثلاثة السابقة حيث بدأ استخدامه مع بدايات الفلسفة اليونانية خصوصا عند سقراط وأفلاطون وأرسطو. ويعود هذا المصطلح إلى الأصل الإغريقي Axia ou Axios ويعني في الأصل علم القيم الأخلاقية، وفي الفلسفة يعني مبحث نظرية القيم. وكان هارتمان Eduard von Hartmann أول من استخدم هذا المفهوم في كتابه المعروف L'Axiologie et ses divisions ومن ثم استخدمه بول لابي Paul Lapie في بداية القرن العشرين في كتابه منطق الإرادة Logique de la volonté.[28]

ويمكن القول بأن المفاهيم (Morale، Déontologie، Ethique، Axiologie) تتمايز بعضها عن بعض في سياق الاستخدام والتوظيف العام لها في مختلف النصوص والمباحث الأخلاقية وبالمقابل فإنه قد تتجانس حيث يوظف أحدها بمعنى الأخلاق أو علم أو نظرية الأخلاق أو الأخلاق المهنية... الخ.[29]

الدراسة المصطلحية للفظة الأخلاق:

يعرف **علي أسعد وطفة** الأخلاق بأنها: "الأخلاق منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يرتضيها المجتمع لنفسه وأفراده نشدانا لفضائل الحق والخير والجمال، وهي من حيث وظيفتها توجه الأفراد إلى ما يجب عليهم القيام به وتنهى عما يجب تجنبه في مختلف المواقف الحياتية والإنسانية، وهي ترتكز في وظيفتها تلك إلى مجموعة من القيم الأخلاقية التي توجه السلوك الإنساني توجيها غائيا يتسم بالحكمة ويتشح بالفضيلة، فالأخلاق توجه الفرد إلى التمييز بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الخطأ والصحيح، كما بين ما هو محمود وما هو مذموم على وجه الإطلاق. والأخلاق تشكل منهجا وجدانيا ينير طريق الأفراد في المجتمع إلى صراط الحق والخير والجمال، وقد قيل في الأخلاق بأنها " التحلي بالمليح والتخلي عن القبيح "، وغالبا ما يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة فالمحمود منها يعرف بالخير، والمذموم منها يعرف بالشر، حيث تشكل مسألة الخير والشر المحور الأساسي لعلم الأخلاق برمته. فالأخلاق تعني الالتزام بالقيم والمبادئ الأخلاقية التي توجه الإنسان نحو الخير والفضيلة وتحول بينه وبين الشر، وترمز إلى انتصار الجوانب الايجابية في الإنسان طلبا للكمال وتحقيقا للغايات السامية في الحياة، إنها نوع من الوعي بما ينبغي وبما يجب التماسا للجمال الأخلاقي والكمال الروحي"[30].

ثانيا: معاني الميثاق الأخلاقي:

من خلال هذا السرد اللغوي والاصطلاحي للفظتين الميثاق والأخلاق سنجد مضمونهما حاضر في تعاريف الخاصة بالمفهوم "الميثاق الأخلاقي"، والمقصود به هو وثيقة مكتوبة ومعلنة للجميع بشكل رسمي تتضمن كافة المبادئ والقواعد والقيم والمعايير الأخلاقية التي تعمل كموجه للتنظيم في كافة عملياته وسلوكياته وعلاقاته. وبالتالي فهو يشكل التزام حقيقي تجاه ممارسات العمل[31]. ويعرفه **علي أسعد وطفة** على أنه تذكير الأعضاء في مهنة ما إلى مراعاة القيم الأخلاقية الخاصة بالمهنة[32]. وهناك تعريف آخر وهو أنه مجموعة من القواعد المكتوبة التي التي يضعها التنظيم لموظفيه لتحديد التصرفات الأخلاقية من تلك غير الأخلاقية فيما يتعلق بالعمل. يحدد هذا الميثاق ما يجب فعله عند تضارب المصالح أو قبول الهدايا أو الاستخدام الشخصي لموارد المؤسسة وسرية العمل والتعامل مع الشركاء والمرؤوس وغيرهم. ولكل مهنة ميثاق أخلاقيات عمل بها مثل ميثاق أخلاقيات الأطباء، ميثاق أخلاقيات المحاسبين وتبين كل تلك المواثيق الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى ويلتزم بها ممارس المهنة[33].

يظهر إعداد مدونة عامة لأخلاقيات المهنة، تسري على جميع أعضاء ومنتسبي الجماعة المهنية لتوجيههم نحو الأخلاقيات المهنة السليمة وأطر الانضباط الذاتي التي تحكم سير العمل والمنسجمة مع القوانين والانظمة السارية، وتبين لهم واجباتهم ومسؤولياتهم المهنية ودورهم في تحسين الخدمة المقدمة، كأولى القواعد الإجرائية لتعزيز أخلاقيات المهنة. وبالإضافة إلى ذلك، يتم إعداد مدونات فرعية خاصة ببعض المهن أو ببعض فئات المهنية، تأخذ شكل مرشد أو دليل عملي. ويجب أن تمتاز هذه المدونات بالطابع العملي والبراغماتي، ومن خلال جعلها مركزة وموجهة للتكيف مع خصوصيات بعض المهن، كما يجب أن تمتاز بالقابلية للتعديل والتغيير المستمر استجابة لهذا التكيف، وهذا على غرار تلك

المدونات في بعض المهن الحرة كأخلاقيات مهنة الطب، المحاماة، الصحافة، الهندسة وغيرها.[34] من خلال هذه التعاريف يمكن القول أن الميثاق الأخلاقي هو الذي يرسخ لنا أخلاقيات المهنة، ويختلف من مهنة إلى مهنة أخرى. فهو عبارة عن وثيقة تتضمن قيم ومبادئ وضوابط محورية على شكل التوجيهات الأخلاقية وهي التي تؤثر في سلوك الفاعلين داخل التنظيم وخارجه. ومن أهدافه هو تخليق المهنة، وتعزيز الممارسات الإيجابية، ونقل وتعزيز القيم والمبادئ إلى أعضاء ومنتسبي للمهنة كاحترام القانون، الحق والواجب، النزاهة، المسؤولية... فهل نتوفر على ميثاق أخلاقي يؤطر المهن بالقطاع العمومي في السياق المغربي بصفة عامة وبالقطاع التربوي بصفة خاصة؟

ثالثا: الميثاق الأخلاقي في السياق المغربي:

في السنوات الأخيرة، طرحت مسألة إعداد ميثاق أو مدونة أخلاقيات الوظيفة العمومية بالمغرب أكثر من مرة. نظرا ما تعيشه من انحرافات كعدم احترام أوقات العمل من طرف الموظفين في الإدارات العمومية، وما نراه في حياتنا اليومية من تأخرهم أو مغادرتهم قبل الوقت أو اللامبالاة بالمرتفقين والتغيب، التهرب من المسؤولية، عدم أداء واجباتهم بحجة غياب الحوافز وتدني الأجر، بالإضافة إلى مسألة الرشوة ... إلخ. وغيرها من الانحرافات. برغم أن هناك منشور رقم 04.2 بعنوان **ميثاق حسن سلوك الموظف العمومي**[35]، الذي يتضمن المبادئ والضوابط العامة التي ينبغي أن تؤطر سلوك الموظف العمومي سواء داخل الإدارة أو في علاقته مع المرتفقين وذلك عبر ثلاث مرتكزات وهي التشبع بثقافة المرفق العام، ضوابط العمل بالإدارة، والتواصل مع المرتفقين. فمع استمرار هذه الانحرافات تم **إعداد مشروع مدونة الأخلاقيات بالوظيفة العمومية (عرض حول مدونة الأخلاقيات بالوظيفة العمومية 2019، المجلس الأعلى للوظيفة العمومية)**[36] تم التعريف فيه بأخلاقيات الوظيفة العمومية، أنها مجموعة من القيم والمبادئ والقواعد السلوكية التي من شأنها تأطير عمل الموظف العمومي، وتمكينه من القيام بواجباته على أحسن وجه. والسياق الذي جاء فيه هذا المشروع هو تنزيل أحد أهم محاور البرنامج الحكومي المتعلق بإصلاح الإدارة في شقه المرتبط بتعزيز قيم النزاهة والشفافية في المرفق العام؛ تعزيز ثقة المواطن بشكل عام، والمرتفق بشكل خاص، في الإدارة؛ وكذا تراجع منظومة القيم بالمرفق العام؛ وضعف المقتضيات المتعلقة بالأخلاقيات في النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية واقتصاره فقط على الالتزامات والواجبات المنصوص عليها.

وقدم تشخيص الوضعية الراهنة عبر النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية، والاستراتيجية الوطنية لمكافحة الفساد وبعض القطاعات والمؤسسات التي اعتمدت مدونة أو ميثاق الأخلاقيات كإدارة الجمارك والضرائب غير المباشرة؛ المحافظة العقارية؛ ومؤسسة الوسيط. وأجرى دراسة مقارنة مع التجارب الدولية التي سبق أن اعتمدت مدونة الأخلاقيات، وشملت هذه الدراسة الدول (فرنسا؛ بلجيكا؛ تونس؛ فلسطين؛ مصر؛ الإمارات العربية المتحدة؛ الأردن).

أما في القطاع التربوي، فهو أيضا بدأ في التأسيس **ميثاق أخلاقيات مهنة التربية والتكوين**[37] في النظام الاساسي الموحد الذي حدد فيه بشكل أولي مرتكزين ألا وهما التزامات الإدارة عبر تكريس الاستحقاق وضمان حقوق الموظف دون تمييز وتعزيز الحكامة والممارسات الجيدة. ثم التزامات الموظف تجاه المهنة والزملاء والمتعلمين وأولياء الأمور والمرتفقين. تفعيلا **للمادة 36 من الباب السادس "الموارد البشرية" لقانون الإطار رقم 51.17 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي** التي جاءت ب "ويجب أن يتم ذلك في الالتزام المشترك لكل المتدخلين المذكورين بتحقيق الأهداف المذكورة على أساس مبدإ التلازم بين الحقوق والواجبات التي يحددها ميثاق تعاقدي لأخلاقيات مهن التربية والتعليم والتكوين والبحث[38]."

أما من قبل سنجد **مذكرة عدد 46[39]، ميثاق حسن سلوك الموظف العمومي، 26 مايو 2004، وزارة التربية الوطنية والشباب (سابقا)** ، وفيها تم التعريف بميثاق حسن سلوك الموظف العمومي، على أنه مجموعة من القواعد القانونية العالمة الملزمة والمجردة الجاري بها العمل، تتوخى إلمام الموظف بواجباته والتزاماته تجاه الرؤساء والمرؤوسين والزملاء وفي علاقته بمرتفقي الإدارة وما يتطلبه ذلك من التزام بمواقيت العمل ولباقة في تواصله مع محيطه ومع المتعاملين معه بتفتح ورحابة صدر واتزان ومسؤولية. وجاءت المذكرة بناءًا على اعتماد ميثاق كآلية مرجعية لإرساء أسس إدارة حديثة ومسؤولة ومواطنة وقريبة من انشغالات المواطنين، وانطلاقا من الدور الذي توليه وزارة التربية الوطنية والشباب

(سابقا) لتخليق الحياة الإدارية وترسيخ ثقافة المرفق العام الذي يعتبر إحدى الدعامات الأساسية لإصلاح منظومة تدبير الشأن الإداري والتربوي، وسعيا منها إلى تأسيس أسلوب حديث للتعامل يتوخى اعتماد العمل بمواثيق حسن سلوك الموظف العمومي داخل الإدارة في جو يسوده التعاون والتآزر والانضباط لقواعد الأخلاقيات المهنية.

وهناك أيضا ميثاق حسن التدبير وأخلاقيات المهنة[40]، مصوغة موجهة إلى حراس الداخلية والخارجية، وزارة التربية الوطنية، أكتوبر 2001 ينطلق هذا الميثاق من ثلاث منطلقات وهي: الأول **الالتزام بالعمل على تخليق الحياة الإدارية** ويتعلق بتهذيب أخلاقيات المرفق العمومي، واعتبار ذلك من المطالب الأساسية والملحة للمجتمع، ذلك أن استمرار تنامي مظاهر الفساد الإداري يشكك لا محالة في مصداقية وجدوى الإصلاحات الإدارية التي تعتزم الحكومة مباشرتها. ويطلب ذلك التهذيب جعل الموظفين يراعون ضوابط السلوك المستقيم في عملهم اليومي لإعطاء صورة مشرقة ومغايرة عن المصالح العمومية. وهذا يتطلب إشاعة ثقافة بديلة داخل الإدارة، قوامها التمسك بالقيم والمبادئ الأخلاقية مما يساعد على تهيئ المناخ المناسب لبلورة إصلاحات عميقة تستهدف الرفع من أداء الجهاز الإداري.؛ الثاني هو **الالتزام بترشيد وعقلنة التدبير العمومي** باعتماد التوجهات كالتحكم في التكلفة من خلال الالتزام بإعادة النظر في مناهج التدبير العمومي وقواعد المحاسبة العمومية. والثالث هو **تدعيم التواصل والتشاور وانفتاح الإدارة على** محيطها فإنه يرتكز على الانتقادات التي تطال للإدارة والتي غالبا ما يكون مصدرها انكماش الإدارة على نفسها وعجزها عن التواصل مع محيطها والإنصات لانشغالات المتعاملين معها. واعتبار التواصل ركنا أساسيا في عمل الإدارة، بإشاعة ثقافة الإرشاد والحوار والتشاور على نطاق واسع داخل الجهاز الاداري.

من خلال ما سبق، يمكن القول أن مفهوم الميثاق الأخلاقي من بين آليات لترسيخ أخلاقيات المهنة. فيتجسد على شكل وثيقة رسمية ومعلنة تتضمن مجموعة من المبادئ، القواعد، المعايير الأخلاقية، الأسس، والقيم. تعمل كدليل أو كموجه لأعضاء ومنتسبي الجماعة المهنية في كافة واجباتهم، مسؤولياتهم، سلوكاتهم، ممارساتهم، وعلاقاتهم مع زملائهم داخل الجماعة المهنية، ومع المرتفقين ومع المؤسسة التي ينتمون لها، ومع المهنة. وهذه الوثيقة روحها تتشكل من معاني الأخلاق والقيم. وهذا ما لاحظناه في النماذج التي تطرقنا لها في المقالة سنجد خطابها عبارة عن قواعد ومعايير وواجبات ذات طابع أخلاقي كالنزاهة، المسؤولية، الاحترام، التواصل، التخليق، الاستقبال، التحفيز، الشفافية، الإلتزام، التعاون، المشاركة، الصدق، الإخلاص في العمل، اللباقة في التواصل، التضامن، تعزيز الثقة، احترام القانون، الحياد، المصلحة العامة، التآزر، احترام مواقيت العمل، الإنصات، رحابة الصدر، الإتزان، الواجب ... وغيرها. بعيدا عن أي خطاب قانوني، تأديبي، عقابي ... فهذا يترك للنصوص القانونية. لأن مسألة أخلاقيات المهنة فموجودة في القوانين، ولكن النقص الكبير الذي تعاني منه الادارة المغربية ليس نقصا في القوانين، وإنما هو نقص في الأساليب التي يتعامل بها الموظفين مع النصوص القائمة وبتحصيل الحاصل مع المصالح العامة للوطن والمواطنين. من هنا يتجسد أدوار المواثيق والمدونات الأخلاقية في نشر ثقافة جديدة يمكن أن نسميها ثقافة المرفق العام قوامها التمسك بالقيم والمباديء الأخلاقية الرامية إلى تحسين الأداء والرفع من جودة الخدمات وبالتالي إقامة علاقات جديدة بين الإدارة ومحيطها وللمهنة.

الهوامش:

[1] طه عبد الرحمن، الحوار أفقا للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2013، ص58

جعل الأخلاق البوابة الرئيسية لإحياء إنسانية الإنسان بعدما غيبتها قوى العولمة المادية الناتجة عن عمليات العقلنة المستبدة للأخلاق.

[2] علي أسعد وطفة، في مفهوم الأخلاق قراءة فلسفية معاصرة، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، 2020. منشورة على الموقع الالكتروني للمجلة: https://tanwair.com/archives/6609/amp

[3] طه عبد الرحمن، سؤال الأخلاق، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، الطبعة الاولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 2000 ص 14

[4] نفس المرجع السابق. (علي أسعد وطفة، في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة)

[5] يوظف زيجمونت باومان مصطلح "السائلة" في إطار ما يسميه الحداثة السائلة كإشارة إلى التغيير الدائم للوضع الراهن، أين تسيل جميع القيم، العلاقات، الروابط ... فلا وجود لأساس ثابت يقف عليه إنسان الحداثة السائلة، ويرى باومان أن العالم اليوم يعيش أزمة أخلاقية نتيجة تصاعد النزعة المادية المتغولة في اللذة والشهوة وقيم الاستهلاك. والبحث عن السعادة.

[6] عمر بوفتاس، الأخلاقيات التطبيقية ومسألة القيم، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، رقم 115، الرابطة المحمدية للعلماء، 2020، ص3 بتصرف

[7] نفس المرجع السابق، ص2 بتصرف

[8] نفس المرجع السابق، ص20 . 21

[9] ابن منظور، لسان العرب، ط. دار المعارف، المجلد 6، ص4790.

[10] معجم المعاني، عبر الرابط الالكتروني:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D9%8A%D8%AB%D8%A7%D9%82/#:~:text=%D9%88%20%D8%AB%20%D9%82%5D.-,1.,2.

[11] نفس المرجع السابق.

[12] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نقلا من مقاييس اللغة 544/6.

https://modoee.com/show-book-scroll/452

[13] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نقلا من مقاييس اللغة، ابن فارس 544/6، لسان العرب، ابن منظور ١٠/ 371، تاج العروس، الزبيدي ٢٦ /٤٥٠.

[14] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نقلا من أحكام القرآن، الجصاص 47/1.

[15] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نقلا من جامع البيان ١٥٦/٢.

[16] موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نقلا من تفسير المنار، محمد رشيد رضا ١٠/167.

[17] علي أسعد وطفة، في مفهوم الأخلاق قراءة فلسفية معاصرة، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، 2020. منشورة على الموقع الالكتروني للمجلة: https://tanwair.com/archives/6609/amp

[18] نفس المرجع السابق، نقلا من المعجم الوسيط: مادة خلق.

[19] نفس المرجع السابق، نقلا من محمد علي التهناوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مكتبة لبنان، بيروت، 1996.

[20] نفس المرجع السابق، نقلا من محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 33.

[21] نفس المرجع السابق، نقلا من لسان العرب، مادة: خلق، حـ2، ص 1244ء1245.

[22] نفس المرجع السابق.

[23] نفس المرجع السابق.

[24] نفس المرجع السابق.

[25] نفس المرجع السابق،

[26] معتز الخطيب، "آيات الأخلاق": سؤال الأخلاق عند المفسرين، مجلة أخلاق الإسلام، بدار بريل للنشر، 2017، ص85. منشورة على الرابط الإلكتروني الخاص بدار بريل للنشر:

https://brill.com/view/journals/jie/1/1-2/article-p83_5.xml?language=en#:~:text=%D8%A3%D9%8A%20%D8%A3%D9%86%20%D8%A3%D8%B5%D9%88%D9%84%20%D8%B9%D9%84%D9%85%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82,%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D9%85%22%20%D9%88%D8%A8%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%AC%D8%A7%D8%B2%20%D9%83%D9%85%D8%A7%20%D8%B3%D9%86%D9%88%D8%B6%D8%AD.

[27] شمس الدين بشير الشريف، سميحة لعقابي، أخلاقيات الوظيفة العمومية، مجلة القانون الدستوري والعلوم الادارية، العدد الثاني، فبراير 2019 المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، ص14 . 15

https://democraticac.de/wp-content/uploads/2019/02/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%B4%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D9%81%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%8A%D8%B1-2019.pdf

[28] نفس المرجع السابق، (علي أسعد وطفة، في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة.

[29] نفس المرجع السابق.

[30] نفس المرجع السابق.

[31] حسن عبد السلام علي عمران، دور الميثاق الأخلاقي في تحسين جودة الخدمة التعلمية بمؤسسات التعليم العالي، اقتصاديات الأعمال والتجارة، العدد الرابع، دجنبر، 2017، ص22.

[32] علي أسعد وطفة، في مفهوم الأخلاق قراءة فلسفية معاصرة، مجلة نقد وتنوير، مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، 2020. منشورة على الموقع الالكتروني للمجلة: https://tanwair.com/archives/6609/amp

[33] مقالة منشورة في موقع مجرة، بعنوان المفاهيم الإدارية، ميثاق اخلاقيات المهنة، بدون الناشر، بدون تاريخ النشر. بتصرف وهي على الرابط الالكتروني الاتي: https://hbrarabic.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9/%D9%85%D9%8A%D8%AB%D8%A7%D9%82-%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%84/

[34] شمس الدين بشير الشريف، سميحة لعقابي، أخلاقيات الوظيفة العمومية، مجلة القانون الدستوري والعلوم الادارية، العدد الثاني، فبراير 2019 المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، ص24 بتصرف

[35] يمكن الاطلاع عليه في بنك المعطيات القانونية لوزارة الاقتصاد والمالية وإصلاح الإدارة: http://bdj.mmsp.gov.ma/Ar/Document/1943-Circulaire-n-2-04-FP-relative-au-pacte-de-la-bonn.aspx

[36] المجلس الأعلى للوظيفة العمومية، عرض حول مدونة الأخلاقيات بالوظيفة العمومية، الأربعاء 16يناير 2019. يمكن الاطلاع عليه عبر بوابة المجلس: https://www.csfp.ma/documents/PresentationEthique_CSFP_19022019_03.pptx

[37] من مضامين محضر الاتفاق بين الحكومة والنقابات التعليمية يوم 14 يناير 2023.

[38] القانون الإطار رقم 51.17 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، ص21

[39] وزارة التربية الوطنية والشباب (سابقا)، مذكرة عدد 46، ميثاق حسن سلوك الموظف العمومي، 26 مايو 2004
يمكن الاطلاع عليها على الرابط الآتي:
https://www.scribd.com/document/412765092/note-46-2004#

[40] محمد عزيز الوكيلي، ميثاق حسن التدبير وأخلاقيات المهنة، مصوغة موجهة إلى حراس الداخلية والخارجية، وزارة التربية الوطنية، أكتوبر 2001. يمكن الاطلاع عليه في الرابط الآتي:
https://www.scribd.com/doc/26765874/%D9%85%D9%8A%D8%AB%D8%A7%D9%82-%D8%AD%D8%B3%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%A8%D9%8A%D8%B1